إسلاميات

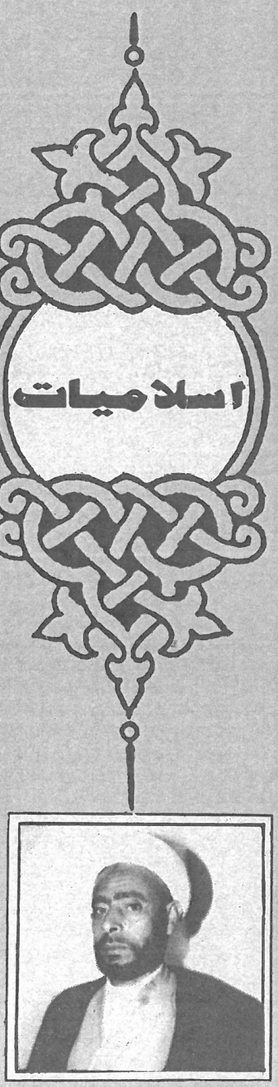

المحاضرة الواحدة والاربعون
لفضيلة الشيخ سليمان المدني

مقام السنة فى مدرسة اهل البيت «ع» ٢

تحدث فضيلة الشيخ سليمان المدني في الجزء الأول من محاضرة مقام السنة في مدرسة أهل البيت (ع) عن تعريف السنة في اللغة ، وورد فضيلته آراء بعض العلماء مثل الأزهري حيث ذكر في صحاحه ان الطريقة المحمودة فقط يقال لها سنة واما الطريقة غير المحمودة فلا يقال لها سنة وناقش فضيلته هذا الرأى موضحا ان السنة المقصودة في هذا الموضع تشمل العادة الحسنة والعادة السيئة .

ثم تحدث فضيلته في باب العقاب أو الوزر وبين شروط ذلك وأوضح ان السنة عند الكلاميين أى علماء الكلام تختلف عن معنى السنة عند علماء اللغة ، وقال ان السنة في مصطلح علماء الأصول هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول وفعل و تقرير وبعض الأصوليين من أهل السنة قال ان السنة هو ما لم يكن قرآنا .

ويواصل فضيلة الشيخ سليمان المدني الحديث عن جوانب أخرى من مدلول لفظ السنة ..

يقول فضيلته ..

بقيت هناك مسالتان وهو ان بعض العلماء من غير الشيعة وسع مدلول هذا اللفظ بهذا المعنى اى القول والفعل والتقرير الى الاقوال والافعال والتقريرات الصادرة من الصحابة فاعتبر ان كل ما ثبت عن الصحابة من قول او فعل او تقرير له مقام ما ثبت عن النبى (ص) من قول او فعل او تقرير وبذلك يدخل فى باب السنة ولعل على راس هؤلاء الشاطبى فى كتابه (ارشاد الفحول)، وايضا الشيعة وسعوا مدلول السنة بهذا المصطلح اى القول او الفعل والتقرير الى ما صدر عن ائمتهم الاثنى عشر (ع) من قول او فعل او تقرير ولذلك عرفوا السنة بانها قول المعصوم او فعله او تقريره. فالذى نحتاج بحثه هنا عن حجية السنة يعنى هل ان السنة حجة بين الانسان وبين الله وانه ويجب عليه ان يعمل بموجبها وان لا يخالفها تماماً كالقرآن الكريم او ليست كذلك

فى ما سلف عرفنا السنة لغة واصطلاحاً وقد انتهينا الى ان السنة المدروس عنها فى مصطلح المسلمين والفقهاء هى قول النبى (ص) وفعله وتقريره وقلنا ان هذا هو موضع الوفاق بين مختلف فقهاء الامة الاسلامية واصوليها وانما وقع الاختلاف من ناحيتين اذ وسع بعض المسلمين مفهوم السنة الى ما يشمل ما يثبت عن الصحابة من قول او فعل او تقرير، ووسع الشيعة الى مايثبت عن ائمتهم الاثنى عشر من قول او فعل او تقرير وقد قلنا ان منهاج البحث عن مجيتها وهو عنوان اول اصول هذا الدراسة يكون فى جهات ثلاث .

الجهة الاولى : البحث عن حجية عن ما ثبت عن الرسول (ص) من قول او فعل او تقرير .

والكلام عن السنة النبوية وبالذات عن ما ثبت عن النبى (ص) من الاقوال والافعال والتقارير ينبغى ان لا تكون موضعاً للكلام فاما حجية السنة المحمدية هى من ضروريات الدين، ومعنى الضرورى هو الذى يحصل به العلم بدون حاجة الى دليل .

ولا شك ان الرسالة المحمدية ( ) لا نستطيع ان نعرف احكامها بما لها من تفصيلات وما لها من شرائط وما لها من موانع وما يتعلق بها من القيود إلا عن طريق السنة النبوية فلو وضعنا السنة فى موضع التشكيك فى الحجية (غير متاكد). خذو اليكم مثلا قوله تعالى « اقيموا الصلاة » وقوله « اتاوا الزكاة » وقوله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » وقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وقوله تعالى « اوفوا بالعقود » الى آخر ذلك من سائر الموارد التى هى موضع ابتلاء الناس فى كل زمان ومكان فضلا عن الاحكام التى تتعلق بزمان دون زمان وبمكان دون مكان والتى لا تكون عامة لابتلاء كل الخلق، هل نستطيع ان نفهم من هذه الآيات القرآنية التى تلوناها معنى الصانع ، لو اختصرنا على هذه الايات الواردة فى الصلاة لكان مجرد ان يقف الانسان ويقول : اللهم لك الحمد ولك الشكر » كان قد صلى ولو ان انسان صلى فى اليوم والليلة ركعة واحدة او ركعتين او فى الاسبوع او فى الشهر ركعة او ركعتين لكان يستطيع ان يدعى بانه قد نفذ الامر القرآنى

للصلاة فان هذه الاية « اقيموا الصلاة » وغيرها من الآيات المتعلقة لا تبين كيفية الصلاة ولا مقدارها ولا موانعها ولا شرائطها ولا اجزائها فلو آخذناها على المعنى اللغوى لكانت تتادى بكلمة واحدة من الدعاء او الحمد او الشكر .

كذلك الزكاة فلو اعطى انسان اي مقدار عن جميع امواله، لكان يكون له ان يدعى بانه ادى الزكاة المفروضة، ذلك لان قوله تعالى (واتوا الزكاة) لا تبين ما هو المال الذى يجب فيه الزكاة ولا ما هو المال الذى لا يجب فيه الزكاة ومتى تجب وكم تجب فى المال كل ذلك لا نستطيع ان نفهمه من هذه الاية القرانية. وكذلك مناسك الحج بتفصيلاتها وقيودها وموانعها لا نستطيع ان نفهمه من الآيات القرانية فضلا عن احكام المعاملات والانكحة والاطعمة وغيرها من سائر الاحكام الشرعية. فلو جعلنا السنة مورد تشكيك فى الحجية، ولو غضضنا بصرنا عن السنة لكان الاسلام يتعطل ولكان الاسلام مجرد دين خيالى لا يمكن تطبقه فوق هذه الارض، فاذن انكار حجية السنة يؤدي الى انكار الاسلام من اصله، ولذلك فهى من ضروريات الدين ولا داعى ان يقام على حجيتها برهان او ان يؤتى بدليل ذلك لان العلم بالحجية اذا كان امراً ضرورياً فانه حاصل قبل اقامة البرهان وموجود قبل اقامة الدليل فلاى شئ يقام الدليل وعلى اى شىء يقام البرهان. البرهان انما يقام لتحصيل امر مجهول. البرهان كما يعرفه العلماء هو ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول. اى ملاحظة المعلومات التى عندى حتى اتوصل عن طريقها الى معلوم لم يكن موجوداً عندى. فاذا كانت حجية السنة بهذه المثابة من الضرورة فى دين الاسلام، فمعنى ذلك انها حاصلة للمسلم بمجرد إيمانه بنبوة محمد (ص)، فلا يحتاج الى اقامة برهان يدلل به على ان كلام محمد (ص) حجة وان الله سبحانه وتعالى يلزمه بالعمل به يوم القيامة او انه اذا عمل به يكون له حجة ونوراً يوم القيامة باننى سرت على درب رسوله. هذا العلم حاصل بدون حاجة الى برهان اذا كان ضرورة والعلم بحجية السنة على نحو الضرورة انما يحصل اذا كنا نقول بعصمة الرسول (ص) وانه منزه عن الخطا، منزه عن السهو، منزه عن النسيان فضلا عن تعمد الكذب، اما اذا لم نقل بعصمة الانبياء، اذا جعلنا انبياء الله ورسله كسائر الخلق فلا شك اننا فى حاجة الى دليل خاص يثبت لنا حجية قولهم، ذلك لان اى انسان لا يكون لقوله الحجة ما لم يكن معصوما، اما اذا قلنا بان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون وان نبينا محمد (ص) معصوم عن الخطا والنسيان والسهو فلا شك ان كل تصرفاته من اقوال ومن افعال ومن تقريرات تكون حجة لانها نابعة عن مقام التشريع باعتباره نبياً لله سبحانه وتعالى .

ولعلنا الى هذا المعنى قد اشرنا فى المقدمة بان تقييد السنة بانها قول النبى او فعله او تقريره بشرط ان يكون فى مقام التشريع. هذا القيد قلنا لا حاجة اليه لا تاسيسا ولا توضيحا وذلك لاننا اذا فرضنا ان الشريعة الاسلامية شاملة وعامة لكل حركة وكل سكون من حركات الانسان وسكناته وانه ما من واقعه الا ولله فيها حكم وما من حركة او سكون يتحركها الانسان الا ولله فيه حكم وفرضنا ان النبى (ص) معصوم فلا شك ان تكون جميع تصرفاته فى جميع املاكه وفى جميع حالاته حجة ملزمة للمسلمين على وجه، سوف ياتى تفصيله فى اثناء هذه البحوث. فاذن بعد القول بعصمة الانبياء لا داعى لان نقيد السنة بان نقول بانها قول النبى او فعله او تقريره بشرط ان يكون فى مقام التشريع كما يظهر من كلمات بعض اعلام العلماء من الفقهاء والاصوليين، فان هذا القيد بباطنه استسلافا من الذين لم يقولوا بعصمه الانبياء اما بالنسبة الذين يقولون بعصمة الانبياء لا يحتاجون الى هذا القيد لا تاسيسا ولا توضيحاً نعم من يدعى بان الانبياء غير معصومين فهو يحتاج الى هذا القيد على اننا لو قلنا بان الانبياء غير معصومين، فاننا لا نستطيع ان نجعل السنة السنوية من ضرورات الدين وعندئذ نحتاج الى اقامة الدليل والبرهان على حجية قول النبى او فعله او تقريره، لاننا غاية ما نتوصل اليه مثلا ان نجرى فى حقة الاصول العقلائية التى نجريها بالنسبة الى سائر العلماء وبالنسبة الى سائر المفكرين كان نقول الاصل انه لم يكن غافلا، الاصل انه لم يكن ساهيا، الاصل انه لم يكن كاذباً. هذه الاصول العقلائية التى يتعارف عليها العقلاء فى تنظيم حياتهم. هل تقيم حجة شرعية، انما تقيم حجة شرعية اذا ثبت ان الشارع قد تبناها، واما اذا لم يثبت ان الشارع قد تبناها وامضاها فهى لا تثبت حجية لقول احد، ومن اجل ذلك لم نقل بحجية قول العلماء والفقهاء بقول مطلق وانما نقول بحجيتهم بناءاً على اصل الاصول العقلائية بعد ان حصل الفصل من الشارع فى حقهم، اما بالنسبة الى غيرهم وفى بعض الموراد ولم يفتهم الشارع كل تصرفات الفقهاء او كل تصرفات العلماء حتى نقول ان امضاءها فى حق العلماء وفى حق الفقهاء كافة بانه امضاها فى حق الانبياء ايضا، لان الشارع لا يفتى بحجية قول الفقيه بقول مطلق، يعنى كل قول وكل تصرف وكل فعل يفعله او يقوله هو حجة من قبل الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان نقول ذلك وانما توجد هناك اوامر باتباع الفقيه فى ما افتى به بعد الاخذ بعدالته ولكن لا يمنع ان يكون مخطئاً وان يكون ساهياً اوغير ذلك. ومن اجل ذلك نجد ان الفقهاء يختلفون فى مسالة واحدة، ونحن لا نقول بان الجميع مصيبون فى تلك المسالة، بل لا بد ان يكون بعضهم قد اصاب وبعضهم قد اخطا وربما يكونون جميعاً قد اخطاؤا ولم يصيبوا الحق ولا يعقل ان يكونوا جميعا قد اصابوا الحق مع اختلافهم فى تلك المسالة وانما الامر باتباعهم لعدم قدرة المكلف غير الفقيه ان يتوصل الى الحكم بنفسه فلا بد من ان يوجد له طريقاً باتباعه وهذا لا يجعل الحجية لكل ما يقوله الفقيه فى جميع حركاته وسكناته، ولا كل ما يفعله الفقيه ولا كل ما يعمل هذا الفقيه من ادعاء يكون حجة .

●●●●●●●●●●●●●●●

في مولد المصطفى صلى الله عليه واله وسلم

« شرف العالم فيها احمد »

طال مطالى وجفانى المسحدو ... وجار فى الحكم غرير اغيد
مر نفورا فنفى تجلدي ... ولجوى فى كبدي توقد
ان سل بتار لحاظ كسر الجفن ... غما النصال ما المهند
ما للمراضى اورثتنى علة ... الجسم فاردتنى وعز الجلد
من علم الحور تذود واردا ... من سلسل نظم فيه البرد
تطوق البدر السوارى فى الدجى ... وذى الذراري فى النطاق تعقد
يامنية النفس اما تسمح لي ... لما بخديك يشع اسجد
جذوة نار من لضى القلب فلم ... من دونها نار المجوس تعبد
منى الحشا والخال منك التهبا ... وهي بامواه الحيا تتقد
والدم من قلبي وعيني عينه ... مذ بات من لاعجها يصعد
فكلما قلت غدا ترق لي ... زدت جفاءً كلما جاء غد
بالله علل مهجتي بموعد ... تفديك روح ايها المبتعد
رشقتنى سهما بقوس حاجب ... اعيا الطبيب والدواء الموعد
فصل معنى فى هواك جسمه ... نهب سقام قد جفاه العود
هب لي الحياة فى اجتماع ليلة ... ليس سوى الله علنا يشهد
ليلة نخلو ليس فى العمر لها ... شبه وليست فى الزمان توجد

تشبه فى البهجة عندي ليلة ... قد شرف العالم فيها احمد
بين طلوع الفجر والشمس بها ... تنزل املاك السما وتصعد
قد وضعته ساجدا امنة ... فطابت الام وطاب الولد
معتمدا على اليمين مرسلا ... نورا به للنيرين المدد
واعلن الامير بالبشر لذى ... اهل السماء والفوات تطرد
وحار ابليس وقد نكست ... الاصنام طراً وعراها النكد
اقام بالمرصاد للخلق فمذ ... اشرق نور الله خاب الرصد
تجلل العالم بالبشر وطير ... السعد فى اكنافه يغرد
بشراك يامة خير مرسل ... هاديك للرسل جميعا سيد
فادم توبته قبولها ... بفضله وهو لنوح المنجد
نار خليل الله لما قمعت ... باسم حبيب الله هل تتقد
ما النار النمرود من عزمة من ... بروحه نار الجحيم تخمد
قيل لموسى اخلع وقد قيل له ... شرف بساط الحق يا محمد
أانت قلت للسيح اتضحت ... وللحبيب انت انت المرشد
ان طأطأ الهام له الرسل ففى ... اعناقها عقد ولاء يعقد
ما المعجزات او اردات عدها ... تحصر او يدرك منها العدد
نطق الثعابين وشق صدرها ... وللغنيمات يحوط الاسد
ام نخلة البيت له جلالة ... يدنو اليه بسرها المنضد
كم كلم الوحش وكم ضلله ... الطير وذاك معجز لا يجحد
حنو له الجذع حنين واله ... وبالسلام كم دعاه الجلمد
من انباء البعير ان المصطفى ... غوث له كل مخوف يقصد
لا أثر يوجد فى الترب له ... وتحت رجليه يلين المهد
فيابنى الدين خذو من مخلص ... الود يمينا ليس فيها فند
ان ما تمسكتم بحبل احمد ... فلا عناء والجنان الموعد
ضل ضليل ونعيم دائم ... فيها وولدان وحور خرد
دمتم اخلاي ودام مجدكم ... راق وانى لعلاكم احمد

المرحوم ملا عطية